Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دهاليز الطاهر وطار

عندما يضع الكاتب فى مقدمة عمله نصا يرتبط بالمخزون التراثى المقدس فإنه يوقظ فى المتلقى حساسية دفاعية حادة؛ إذ لايقبل منه عادة التعارض الصادم له، ولايرضى منه بمجرد التوافق المندغم معه، بل يتربص به ليعرف كيف سيخرج من المأزق الذى وضع نفسه فيه. والطاهر وطار الكاتب الجزائرى الكبير الذى رضيت عنه ـ حتى الآن ـ جماعات الإنقاذ، إذ عرف كيف يلاعبها حتى يمشى بحرية فى شوارع وطنه، يستهل روايته الجديدة المنشورة أخيرا فى القاهرة بعنوان « الشمعة والدهاليز» بمقدمة طريفة تحت عنوان « طاسين الصفر والواحد» يقول فيها:

« إنما إبليس رفض الاعتراف بالتعددية، فتشبث بألا يسجد لغير الواحد، وبذلك أعطى للصفر قيمة تضاهى قيمة الواحد، بل أكثر من ذلك جعل الواحد يفقد قيمته إذا انعدم الصفر، وتحول كل ماعدا الواحد إلى صفر، وكل ماعدا الصفر إلى واحد». وبغض النظر عن صيغ القلب الأخيرة التى لاتضيف للدلالة شيئا ذا بال، فإن التفسير الذى يقدمه الكاتب لمعصية إبليس غريب، وإن اعتمد على تأويل صوفى للحلاج، فإذا كان رفضه السجود لأدم إنكارا للتعددية ـ وهى مصطلح حديث ينبغى إبعاده عن السياق الدينى حفاظا على مقبوليته ـ فمعنى هذا أن أمره بالسجود الرمزى إيذان بهذه التعددية، ثم كيف يستقيم فى المنطق أن يصبح الرفض إعطاء للصفر ـ وهو آدم فيما يبدو قيمة الواحد، بل العكس هو الصحيح فرفض السجود هو الذى يعنى بداهة عدم التسوية فى القيمة وإن اقترن بالمخالفة. لكننا لا نستطيع أن نمضى فى هذا الجدل الفكرى مع الكاتب مهما كان مستفزا، لأننا لسنا بصدد خطاب فلسفى أو معرفى، وإنما نفتح رواية فنية نطالع فيها عالما متخيلا. أى كونا صغيرا يكون بمثابة تمثيل مجازى أو علامة على الكون